مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي في مقامات الحريري

عمر سعيد محمد سعيد
أحلام طه وداعة الله
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ـ كلية اللغات ـ قسم اللغة العربية

مستخلص

تطرقت الدراسة لـ (الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي في مقامات الحريري) كما بينت معنى كلمة مقامة كذلك وضحت معنى الاقتباس عند علماء البلاغة و تناولت النصوص في مقامات الحريري التي ورد فيها الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف مع بيان الآيات والأحاديث التي أُقتبس منها، وتوصلت الدراسة على عدة نتائج أهمها: ثراء هذه المقامات بفنون البديع خاصة الاقتباس وقدرة الحريري البلاغية الفائقة وتمكنه في هذا الفن(الاقتباس) واطلاعه الواسع في معرفة معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

Abstract

This study deals with (Aligitibas). It considers the presence of sitations from The Holly Qur'an and prophetic Hadith in (Magamat Alhariri). First the study definded the term (magamah) and provided a brief biography of the author. Then it spot light of the meaning of (igtibas) as defined by rhetoric scholar. Following all this the study considered the texts of (Magamat Alhariri) which contain citations (igtibas) mentioning the quoranic verses and Hadith cited. The study concluded that Magamat Alhariri are rich in citations from the Quran and the Hadith, this is an indication of Alhariris understanding of the Quran and Hadith.

مقدمة

حُظي تراثنا البلاغي بعدد وافر من الدراسات وهي دراسات ذات مناهج مختلفة وأدوات متباينة، وإن اختلفت هذه الدراسات في مناهجها وتباينت في أدواتها فإنّها في غاية الامر تكاد تجمع على حقيقة واحدة هي ثراء التراث البلاغي وخصوبته وقدرته على الانفتاح والتجدد. هذه الدراسة بعنوان: الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي في مقامات الحريري، والمقامة واحدة من فنون النثر لم تُحظَ بالقليل الذي حظيت به فنون النثر الأخرى من البحث والدراسة، مع أنها غنية بثروتها اللفظية وأساليبها البلاغية. هذه المقامات خمسون مقامة كتبها الحريري(أبو محمد القاسم بن علي) وجمعها في كتاب سماه(مقامات الحريري) وقد أعطى الحريري مقاماته تسميات مختلفة منها (الصنعانية) التي ابتدأ بها كتابه ثم(الحلوانية) ثم(الدينارية) وهكذا إلى آخرها حسب الموضوع الذي تتحدث عنه.

لقد كان الهدف من إنشاء المقامة عند الحريري ـ بالإضافة إلى الأغراض الأدبية ـ تصوير الحياة الاجتماعية ومعالجة النواحي السلبية فيها مستهدفاً الطبقة الفقيرة. فالمقامة عند الحريري تعدّ معجماً لغوياً وأدبياً حاوياً لألفاظ اللغة وأشكال الأدب وأنواع البلاغة وسوف تتناول الدراسة فنّاً بلاغياً من فنون علم البديع ألا وهو اقتباس الحريري في مقاماته من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي.

معنى الاقتباس

" هو الأخذ والاستفادة، وقد عُرف هذا اللون من الأخذ منذ عهد مبكر، وكانوا يسمون الخطبة التي لا توشّح بالقرآن الكريم بتراء. وقال الحلبي: " أن يُضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به"

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

وعرّفه القزويني بمثل ما عرفه الحلبي والنويري. وقال ابن قيم الجوزية: " ويسمى التضمين، وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره ويدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به أو ترتيبه، فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين وإن كان كلاما قليلاً أو نصف بيت فهو إيداع" ثم مثل صاحب الكتاب بقول الحريري: (فلم يكن إلا كلمح البصر. أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب)، وقال والاقتباس هنا من الآية (77) من سورة النحل (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب). لقد أكثر الشعراء والكُتاب من الاقتباس في أشعارهم وكتاباتهم سواء من القرآن أو الحديث أو من شعر بعضم أو نثرهم، والحريري واحد من هؤلاء أكثر من الاقتباس في مقاماته ، خاصة من القرآن الكريم ، وذلك إنما ينمّ عن ثقافتة الدينية. وفيما يلي دراسة مختصرة لأنواع الاقتباس عند الحريري.

أولاً: اقتباس الحريري من القرآن الكريم

وهو أصل الاقتباس، قال ابن حجة الحموي: " الاقتباس هو : أن يضمن المتكلم كلمة من آية من آيات كتاب الله خاصة ؛ هذا هو الإجماع" [2] . جاء في مقدمة المقامات قول الحريري : " وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته ، كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن انفه بكفه ، فألحق بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا **(103)** (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) [3] فقوله: " فألحق بالأخسرين الخ" جاء متضمناً لآيتين من القرآن الكريم الأولى قوله تعالى:(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) والثانية هي التي تليها وقد أخذها كما هي . وفي المقامة الصنعانية يصف لنا الحارث بن همام حال أبي زيد السروجي " فزفر زفرة القيط ، وكان يتميز من الغيظ" [4] أخذه من قوله تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ...) [5] وفي (المراغية) حيث احتمع نفر من الكتاب وكان حديثهم حول تفضيل القدماء على المحدثين بصورة أغضبت السروجي فرد قائلاً: (**لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** ، وجرتم عن القصد جداً) مأخوذة من قوله تعالى من سورة مريم: **(لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا)** [6] وفي (الواسطية) يقول: " فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقله الوجوم، وأقسم بالطور والكتاب المسطور" [7] فقد أخذ الجملة الأولى من قوله تعالى: في سورة الصافات (**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ)** [8] والأخيرة من سورة الطور

(والطور وكتاب مسطور) [9] وكذلك في (السنجارية) جاء على لسان أبي زيد عندما أراد أن يتحدث عن جاره النمام وعن النميمة وما لحقه بسببها، فاستعجله الحارث و صحبه في أن يروي لهم قصة ذلك الجار النمام فقال : " أجل خلق الانسان من عجل" حيث أخذ العبارة برمتها من قوله تعالى : (**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**)[10] . كما جاء الاقتباس عنده كاملا في المقامة (الرازية) التي تضمنت الوعظ، ففي قوله: " ولا ينفع أهل القبور، سوى العمل المبرور! فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما أدعى (و **نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ**) تضمين لقوله تعالى في سورة النازعات (**ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ**)[11] بعد قوله تعالى (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ**) وفي المقامة ذاتها يقول الحريري بعد قوله ذاك مباشرة: (وعلم أن الفائز من أرعوى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى) فقد أخذه من قوله تعالى في سورة النجم الآيتين: (**أَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (39)** وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ)[12] ولعل جميع النماذج التي أوردناها هنا للاقتباس عند الحريري لم يتنقل اللفظ فيها عن معناها الأصلي إلى معنى آخر. كما أننا نجده أحياناً يغير في الأثر المقتبس قليلاً، او يشير إليه إشارة ، كما جاء في المقامة (السنجارية) أيضاً في قول السروجي : (... فغشيني من الهم، ما غشي فرعون وجنوده من اليم) فهنا إشارة إلى قصة موسى عليه السلام الذي نجا وقومه من فرعون وجنوده، قال تعالى : (**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (77)** (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)[13]

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

وفي المقامة (الكوفية) يدخل السروجي ليلاً على الحارث بن همام ، ويصف له ما به من جوع وبؤس بقوله : " إن مرامي الغربة ، لفظتني إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى، وجراب كفؤاد أم موسى" مشيرا أو مستفيدا من قصة أم موسى (عليها السلام) عندما أجبرت على فراق ابنها موسى (عليه السلام) – التي حدثنا بها الله تعالى في قوله : (**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) [14]

وفي المقامة (الفراتية) بعد أن يتعرف الحارث على أبي زيد بعد أن يبلغ أبو زيد مرامه ، فيقول الحارث معبرا عن حاله مع هذا المخادع : " فحصلت من لبسه على غمة ، حتى أدكرت بعد أمّة ، فقلت : والذي سخر الفلك الدوار ، والفلك السيار، أني لأجد ريح أبي زيد ، وإن كنت أعهده ذا رواء وأيد فتبسم ضاحكاً من قولي، وقال (أنا هو على استحالة حالي وحولي" [15]

فقوله (ادّكر بعد أمة) مأخوذ من سورة (يوسف) من قوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ**) [16] وكذلك قوله : " إني لأجد ريح أبي زيد" مستفاد من قوله : (**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ**) [17]، وأما قوله : " فتبسم ضاحكا من قولي ففيه اقتباس من قوله تعالى واصفا حال سليمان عليه السلام عندما سمع كلام النملة (**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا**) [18]

وفي المقامة (البصرية) ، يعلن البطل توبته ويعترف بما أرتكب من ذنوب ويبدي ندمه ، ويقول فيما قال:

فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيت

فقد أخذ المعني من قوله تعالى: (**قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**) [19]

ومن ذلك أيضا ما جاء في المقامة (الصعدية) من قول السروجي لابنه يوصيه أن لا يغضب إن رد إذا سأل ولم يعط ولا يعد ذلك منقصة:

وإن رددت فما في الرد منقصة عليك قد رُدّ موسى قبل والخضر

تلميحا إلى قوله تعالى : (**حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا**) [20]

وفي المقامة (الحلبية) نجد السروجي معلما (يعلم صبيانا) فيدعو لأحد تلاميذه بقوله : (بورك فيك من طلا [21]. كما بورك في لا ولا) فقول كما بورك في لا ولا ؛ يعني شجرة الزيتون ، رجوعا الى قوله تعالى : (**مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**) [22]

ولقد عرفنا أن من أهداف المقامات الوعظ ، إلا اننا هنا نشير إلى أنه أكثرَ من الاقتباس في وعظه من القرآن والحديث والحكم والأمثال ، فهو حينا يورد النص المقتبس كاملا وحينا يأخذ جزءا منه ، وحينا آخر يشير أو يلمح تلميحاً . ففي المقامات (الصنعانية) حيث وقف السروجي واعظا في أحد مساجد (صنعاء) قال في وعظه مذكراً ومحذرا: (.... إلام تستمر [23] على غيك وتستمري مرعى بغيك؟ حتام تتناهي في زهوك، ولا تنتهى عن لهوك ؟ [24] تبارز بمعصيتك، مالك ناصيتك وتجتري بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك، وأنت بمرأى رقيبك وتستخفي من مملوكك وماتخفى خافية على مليكك تظن أن ستنفعك حالك ، إذا آن ارتحالك؟ أو ينقذك مالك، حين توبقك [25] أعمالك ؟ ...، تأمر بالعرف وتنتهك حماه ، وتحمي عن النكر ولا تتحماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)

ففي هذه الفقرة تضمين لعدة آيات من الكتاب الله تعالى استفاد منها الحريري (أو بطله) في النهي عن التكبر، والتنبيه على أن الله لا تخفى عليه خافية، وأن الانسان لا ينفعه شئ سوى عمله وأنه اذا أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر يجب أن يبدأ بنفسه، وأن لا يخشى سوى الله، قال تعالى في سورة (لقمان) : (**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا**

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [26] ، وقال **(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)** [27] في سورة الشعراء: **(يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ)** [28] وقال تعالى: **(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ)** [29] وفي سورة النساء **(يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ)** [30]

وقد يستخدم الحريري لفظة من ألفاظ القرآن الكريم بنفس المعنى الذي وجدت به في الآية؛ من ذلك قوله في المقامة (القهقرية) : " فلما رأي انفضاض القوم واضطرارهم للصوم عرض بالمطارحة وأستأذن في المفاتحة" فقد استخدم لفظه (الصوم) يعني بها السكوت والامتناع عن الكلام ، كما جاءت في سورة مريم قال تعالى (**فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**) [31] وفي المقامة: (السنجارية) يصف الراوي الشراب الذي قدم لهم بعد أن طعموا بقوله: (وسيق إليه شرب من تسنيم) فهو يشبه الشراب الذي قدم إليه بشراب أهل الجنة الذي ورد في قوله تعالى في سورة المطففين: **(وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ)** [33]

ولا مقارنة بين الشرابين، وفي المقامة ذاتها عندما نفر ابو زيد وتباعد عن هذا الشراب راوده عليه الحارث وصحبه على أن يعود حتى لا يحرم نفسه منه ويكون شقيا، يقول الحارث فراودناه على أن يعود ، وأن لا يكون كقدار في ثمود) فقدار هو ذلك الشقي عاقر ناقة سيدنا صالح عليه السلام ، الذي جاء فيه قوله تعالى: (**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11** (إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا) في المثل : (أشقى من قُدار). وفي المقامة (الفارقية) تطرق الحريري إلى الدجل والشعوذة والنفاق الذي كان متفشيا في مجتمعه، واتخذ من بطله رمزا له، حكى الحارث بن همام؛ قائلاً " وقف علينا ذو مِقول جريّ، وجرس جهوري فحيا تحية نفاس في العقد" [34] والنفاث في العقد هو صاحب السحر ، وقد أمرنا الله تعالى أن نتعوذ منه ؛ قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴿1﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿2﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿3﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) [(35)] كما أنه قد يستخدمه – أي اللفظ– بخلاف ما ذكرنا، خاصة وأن معظم المقامات مبنية على الحيلة والخداع ، ففي المقامة (الدينارية) عندما تحايل السروجي على الناس ليخدعهم بالعرج، لامه الحارث على ذلك، فانشد مبررا موقفه بقوله:

تعارجت لا رغبة في العرج	ولكن لاقرع باب الفرج
فإن لأمني القوم قلت أعذروا	فليس على أعرج من حرج

فقد وضع المعنى في غير ما وضعه له الله تعالى في قوله: **(لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ)** [36] . هذا واقتباس الحريري من القرآن الكريم يصعب حصره في مثل هذا المبحث لأنه لا نبالغ إذا قلنا إنه تخلو صفحة من صفحات – كتاب المقامات – منه، لذلك رأينا أن نكتفي بهذه النماذج.

ثانياً اقتباس الحريري من الحديث النبوي الشريف

كما اقتبس الحريري من آيات القرآن الكريم لفظاً ومعنى اقتبس أيضا من الأحاديث الشريفة، فقد بدأ كتابه المقامات بمقدمة طويلة ، أكثر فيها من الدعاء بعد أن حمد الله ، ولعل معظم ما جاء من دعاء فيه تأثر بالأدعية المأثورة واقتباس من أحاديثه صلى الله عليه سلم ، على سبيل المثال قوله: (.... وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية [(37)]... حتى نأمن حصائد الألسنة) أراد بذلك ما جاء في الحديث أن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال : (فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ). فجاء في رده صلى الله عليه وسلم: " كف عليك هذا" – يعني اللسان– ، قال : قلت: (يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال: " ثكلت أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال: مناخرهم – إلا حصائد السنتهم؟) [38] رواه الترمزي وقال حديث صحيح. وجاء فيها أيضاً :" واستنزلنا كرمك الجم، وفضلك الذي عمّ ، بضراعه الطلب ، وبضاعة الأمل ، بالتوسل بمحمد

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

سيد البشر، والشفيع المشفع في المحشر" وفي قوله هذا رجوع إلى قوله صلى الله عليه وسلم: (خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى,) [39]

ويقول في مقدمته هذه أيضا: ".... ثم إذا كانت الأعمال بالنيات . وبها انعقاد العقود الدينيات...." ففي قوله هذا تأكيد إلى أنه قصد بعمل المقامات خيرا، لأنه يعلم أن الأعمال مربوطة بالنية مؤمنا بما جاء في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " الأعمال بالنية ولكن أمري ما نوى...) [40]

وفي المقامة (الصنعانية) نجد السروجي واعظا في جمع غفير من الناس جاء في وعظه: " هلا انتهجت محجة اهتدائك... وقدعت نفسك فهي أكبر اعدائك؟ " إشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) [41] وفي المقامة (الدينارية) يذم السروجي الدينار بقوله:

تبا له من خادع مماذق أصفر ذي وجين كالمنافق

ففي البيت استفادة من قول الرسول الكريم ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ) [42]

وفي (الدمياطية) يخبر الحارث بن همام أنه رافق صحباً متفقين ملتئمين في أهوائهم ، يصفهم بقوله: " كأسنان المشط في الاستواء" أخذه من الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْعَافِيَةِ ....الخ)** [43]

وفي (البرقعيدية) كانت حيلة السروجي في الكدية أبياتاً من الشعر مكتوبة على رقاع قامت إمرأته بتوزيعها على الناس بعد انتهاء صلاة العيد، إلا أنها لم تأت بشيء، قال الراوي: " وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان" فقال" " إنا لله، وأفوض أمري إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله" فقول (أنا لله) دليل تصبر إذعانا لقوله تعالى: (... **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)** [44] وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فيقول اللَّهُمَّ أْجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إلا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا) [45]

كما جاء في المقامة (الاسكندرانية) قول القاضي لزوجة السروجي: " ... وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة ، فأجعي إلي خدرك" إذ جاءته شاكية من زوجها ففي قوله (كتمان الفقر زهادة) التفات إلى الحديث المروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال الرسول صلى الله عليه وسلم **(مَنْ جَاعَ ، أَوِ احْتَاجَ فَكَتَمَهُ النَّاسُ وَأَفْضَى بِهِ إِلَى اللَّهِ ؛ فَتَحَ اللَّهُ رِزْقَ سَنَةٍ مِنْ حَلالٍ)** [46]

كما أخذ الحريري قوله : (انتظار الفرج بالصبر عبادة) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم : " وانتظار الفرج بالصبر عبادة" [47]

وفي المقامة (الساوية) حدث الحارث بن همام قائلاً: " آنست من قلبي القساوة، حين حللت ساوة، فأخذت بالخبر المأثور، في مداواتها بزيارة القبور".

فالخبر المأثور الذي عناه هو قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في زيادة القبور والعبرة منها، من ذلك ما رواه أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم: " كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدأ لي فزروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة" [48]

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

كما قال صلى الله عليه وسلم : " ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل : وما جلاؤها ؟ قال : (تلاوة القرآن وزيارة القبور) [49]

وفي (السنجارية) جاء قول السروجي: " إن الزجاج نمام ، وإني آليت مذ أعوام ، أن لا يضمني ونموما مقام، ...) متحدثا عن بغضه لجاره النمام، قال صلى الله عليه وسلم: " وإن أبغضكم إليّ المشاءون بالنميمة) [50]

وفي المقامة (النصيبية) يرجو أبوزيد من أصحابه الذين زاروه في مرضه أن يقيلوا عنده إذ كان اليوم حارا ، يقول : " إنّ النعاس قد أمال الأعناق. وراود الآماق... فصلوا حبلة بالقيلولة" وذلك اقتداء بقول صلى الله عليه وسلم " قيلوا فإن الشياطين لا تقيل" [51]

وفي المقامة (الواسطية) التي كانت حيلة أبي زيد السروجي فيها أن يدعي الحارث أنه يطلب الزواج من امرأة أهلها أغنياء –علماً بأن الحارث لايملك شيئاً – ليتخذ السروجي من هذا الطلب جسرا يعبر به إلى بلوغ مرامه ، ثم يقول له : " .. مع أن دين القوم جبر الكسير، وفك الأسير....، إلا أنهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم، أو جبلة بن الأيهم ،، لما زوجوه إلا على خمسمائة درهم" [52] عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه قال : سألت عائشة (رضي الله عنها) – زوج النبي صلى الله عليه وسلم – " كم كان صداق النبي – صلى الله عليه وسلم– قالت كان صداقه لأزواجه ثنتى عشر أوقية ونشأ . قالت أتدري ما النش؟ قال : قلت : لا ، قال نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم فهذا صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه " [53] وفي المقامة ذاتها أنشد أبوزيد:

ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
وكم ارتكاض مويق لي في الذنوب وكم خفوف [54]
لكنني أعددت حس ن الظن بالمولى الرؤوف

اقتبس معنى البيت الأخير من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله تعالى، فمن حسن الظن ضمن الجنة" [55]

وفي المقامة (الطيبية) حكى الحارث ، قال : " اجمعت حين قضيت مناسك الحج.. أن قصد طيبة، ... ، لأزور قبر النبي المصطفى ، وأخرج من قبيل من حج وجفا"

يعني قوله صلى الله عليه وسلم (من حج ولم يزرني فقد جفاني) [56]

وفي المقامة (الصعدية) نجد الحارث يقترب إلى قاضي صعدة ويتودد إليه ، يقول "... حتى صرت صدى صوته ، وسلمان بيته " مستفيدا من قوله صلى الله عليه وسلم : " سلمان منا آل البيت" [57] .

وتحكي المقامة (التبريزية) قصة أبي زيد مع زوجه النفور وتحاكمها أمام القاضي وكيف تحايلا عليه بفصاحة اللسان – على أن القاضي كان غاية في البخل – حتى حصلا منه على دينارين حيث قال لحاجبه – ليتخلص منهما – : " فأرحني من هذين المهذارين [58] وأقطع لسانهما بدينارين" أي صلهما حتى ينقطع كلامهما، وهذا اللفظ الذي هو قطع اللسان بالصلة ، قد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث أعطى المؤلفة قلوبهم من نفل حنين مائة مائة، وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها، وقال:

أتجعل نهى وهنب العبيي د بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما أنا دون أمريء منهما ومن يخفض اليوم لم يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم أقطعوا عني لسانه ، فأعطى حتى رضي [59]

أما المقامة (البكرية) فتتضمن مشاورة الحارث لأبي زيد في اختيار الزوجة فطفق أبو زيد يعدد محاسن البكر والثيب ، ثم يردف ذلك بذلك مساوئهما حتى حار الحارث في الاختيار، فقال لأبي زيد : (فهل ترى أن أترهب) فانتهره أبوزيد قائلاً: " ويلك أتقتدي بالرهبان! أتراك ما سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام أو ما حدثت بمناكح نبيك عليه أزكى السلام؟! فقوله: (لا رهبانية في الاسلام) مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : " لا رهبانية في الاسلام، ورهبانية أمتي بالجهاد في سبيل الله " [60]، وأما قوله (أو ما حُدثت... الخ) فقد أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم: (الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني) [61]

وفي المقامة (الحجرية) حكى الحارث بن همام ، قال: " احتجت الى الحجامة وأنا بحجر اليمامة" ، فلعل في قوله إشارة الى أن الحجامة من السنة ، عن جابر بن عبدالله (رضى الله عليه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن كان شئ من أدويتكم خير ففي شرطة المحجم... الخ) [62] وعنه أن أم سلمة أستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجامة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا طيبة أن يحجمها" [63]

وفي المقامة (الحرامية) يخطب رجل في مسجد بني حرام بالبصرة خطبة تكشف عن طلبة أو رغبته في التوبة من ذنب ارتكبه جاء في خطبته : " يا جيرتي الذين أصطفيتهم ... وأتخذتهم كرشي وعيبتي: أي أهلي ومحل سري ، اقتبس من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : " الأنصار كرشي وعيبتي" [64]

وفي آخر مقامات الحريري (البصرية) تلك التي يتوب فيها البطل – توبة يصفها الراوي بالحقيقية – نجد قوله : " فأما الآن وقد استشنّ الأديم ، وتأود القويم، واستنار الليل البهيم، فليس إلا الندم إن نفع، وترقيع الخرق الذي قد اتسع" تلميحا لقوله صلى الله عليه وسلم: " أنّ عبدا أذنب ذنبا، فقال ربي أذنبت ذنبا فأغفر لي فغفر له " الحديث وفي آخره " علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، اعمل ما شئت فقد غفرت لك" [65]

النتائج

1/ إنّ هذه المقامات ميدان خصب للدراسات البلاغية التطبيقية خاصة الفنون البديعية.

2/ إنّ فن الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف بدأ جليّاً في مقامات الحريري واحتلّ مكانة مرموقة.

3/ ظهرت لنا قدرة الحريري الفائقة وتمكنه من ناصية البلاغة في فن الاقتباس واطلاعه وفهمه لآي الذكر الحكيم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

التوصيات

أهم توصيات الدراسة على الباحثين المتحمسين سبر أغوار هذه المقامات وتطبيق الراسات البلاغية عليها وبخاصة فنون البيان والبديع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

1/ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – أحمد مطلوب – مكتبة لبنان ناشرون – لبنان – بيروت – 2000م – ص 195

2/ خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبوبكر علي بن عبد الله بن حجة الحموي، طبع دار الكتاب العربي، القاهرة ،1967، ص 359

3/ الكهف (103-104)

4/ الغيظ : شدة الحر والصيف، والغيظ الغضب ، يتميز : يتقطع.

5/ الملك (8)

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

6/ مريم (89)

7/ انتشط : انحل وانطلق عقله الوجوم، أي داء السكوت . الطور. هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

8/ الصافات : (88)

9/ الطور : (1-2)

10/ الأنبياء : (37)

11/ النازعات : (40)

12/ النجم : (39-40)

13/ طه : (77-78)

14/ القصص: (10)

15/ حصلت : بقيت . لبسه ، اللبس : بالفتح : الخلط ، والتبست عليه الأمور، وفي أمره لبس ولبسة بالضم إذا لم يكن واضحا. غمة : هم وضيق صدر. أدكر بعد أمة : أي تذكر بعد حين من الزمان . سخر : ذلك . الفلك : (بالتحريك): مجرى الكواكب. الفلك (بضم فسيكون) : السفينة . رواء وأيد: أي صاحب منظر حسن وقوة . استحالة حالي وحولي وتغير حالتي وقوتي.

16/ يوسف: (45)

17/ يوسف : (94)

18/ النمل: (19)

19/ مريم : (23)

20/ الكهف : (77)

21/ الطلا: ولد الظبية والبقرة الوحشية

22/ النور : (35)

23/ تستمرئ: تعده مرئيا أو تستطيبه

24/ تجترئ: من الجراءة وهي الإقدام.

25/ توبقك: تهلكك.

26/ لقمان: (18)

27/ غافر: (19)

28/ الشعراء: (88)

29/ البقرة : (44)

30/ النساء: (108)

31/ مريم : (26)

32/ المطففين: (27)

33/ الشمس (11-12) انبعث أشقاها : أي أسرع إلى عقر الناقة برضاهم.

34/ ذو مقول : صاحب لسان. جرئ: مقدام . جرس (بفتح الجيم وكسرها مع سكون الراء): صوت. جهوري: شديد

35/ الفلق (1-4)

36/ النور: (61)

37/ الدراية: مصدر دريت الشئ دراية علمته.

38/ أخرجه الترمزي في سننه – باب ما جاء في حرمة الصلاة ، ج4 – ص: 12، حديث رقم 616 ، سنن الترمزي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، ط2، توس – دار سحنون 1413هـ – 1992م

39/ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية– ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي) ت: 597هـ – تحقيق: إرشاد الحق الأثري – ط1 – دار نشر الكتب الاسلامية – باكستان – 1399هـ – ج2 – ص438

40/ شرح صحيح البخاري – العسقلاني – ج1 – ص : 180 – كتاب الإيمان

41/ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – إسماعيل بن محمد العجلوني – بيروت مؤسسة مناهل العرفان ، دمشق مكتبة الغزالي – ج1 – 143- وقال رواه البيهي باسناد ضعيف

42/ تبا: خسراً وهلاكا . المماذق: هو من لا يصافي الود، المزق : الخلط ذي وجهين : كناية عن نقشه من الجانبين.

43/ صحيح البخاري: كتاب الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان، حديث رقم: 6643. وفي صحيح فضائل الصحابة، باب خيار الناس، حديث رثم 4588

44/ البقرة: (156)

45/ صحيح مسلم كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة ، حديث رقم 1525. وسنن ابن ماجة: كتاب ماجاء من الجنائز ، باب مايقال في الصبر على المصيبة ، حديث رقم 1587

46/ مشكاة المصابيح – ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي – تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، ط:1 – 1381هـ – 1961م – ص: 969 حديث رقم: 5264، كتاب الرقائق ، باب فضل الفقراء.

47/ اتحاف السادة المتقين بشرح أحياء علوم الدين – محمد الحسيني (الشهير) بمرتضى – ج 9 – ص:6

48/ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي – مج4 – 290

49/ أنظر الكامل في ضعفاء الرجال – ابن عدي – ج1 – ض 420، وقالب أخرجه ابن الجوزي في علل 2/ 832 ، وقال هذا حديث مشهور.

50/ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف – الإمام الحافظ زاكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ضبطه : مصطفى محمد عمارة – دار الحديث القاهرة – 1407 – 1987 – ج 3 – ص 410.

51/ فتح الباري في شرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني – تحقيق فؤاد عبدالباقي ومحي الدين الخطيب – بيروت– دار المعرفة – ج11 – ص : 70

52/ إبراهيم بن أدهم يضرب به المثل في الزهد ، كان ملكا ببلخ فترك الملك وزدهد ، وساح في الأرض . جبلة بن الأيهم : آخر ملوك غسان بالشام.

53/ مختصر صحيح مسلم ، بشرح الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذر – تخريج وفهرس' : عصام الدين الصبابطي،، دار الحديث القاهرة – 1423هـ – 2003م – باب صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه ، ص 235.

54/ الارتكاض: هو المشي دون الجري ، موبق مهلك خفوف : شد الاسراع.

55/ صحيح مسلم للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري – تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط: 2، تونس – دار سحنون للطباعة والنشر 1413هـ – 1992 – كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأملها ، 19 – باب الأمر

56/ كشف الخفاء ، العلجوني – ج2 ، ص: 244 ، حديث رقم: 2460

57/ المستدرك على الصحيحين مع التخليص ، للحافظ أبوعبدالله محمد بن عبدالله محمدج عبدالله الحاكم النيسابوري – ط الرياض – مكتبة ومطابع النصر الحديثة – ج3 – حديث رقم 484

58/ المهذارين: أي الكثير الكلام بدون فائدة

59/ كشف الخفاء العجلوني – ج1 – ص: 160 – حديث رقم 484

60/ أخرجه مسلم في صحيحه – 16 كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ، ج 2 – ص: 1020 – حديث رقم 1401

61/ صحيح مسلم لشرح الإمام النووي – رقمه وأجرج أحاديثه : محمد فؤاد عبدالباقي– حققه : الشيخ عرفان حسونة – دار إحياء التراث العربي – لبنان – ط1 – 1420هـ – 1999م – مج ج2 – ص 1949– ص: 306

62/ فتح البارئ – شرح صحيح البخاري – ج 11 ، ص : 199 – كتاب الدعوات.

63/ مجمع الأمثال : لأبي الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري (الميداني) – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع بمطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه – بدون تاريخ – ج1 –لا ص 31.

64/ موسوعة روائع الحكم والأمثال والأقوال المأثورة – إعداد حسين علي الطويل – المطبعة الأهلية – المملكة الأردنية الهاشمية – عمان – ط:2 – 2004 .